في حديث عن جائزة السلطان قابوس للثقافة والفنون والآداب

عائشة الغابشية: الجائزة تحظى باهتمام المقام السامي منذ انطلاقتها

تعد جائزة السلطان قابوس للثقافة والفنون والآداب من أكبر الجوائز العربية من الناحيتين المعنوية والمادية، إذ يقلد كل فائز في دورتها التقديرية أرفع وسام ثقافي في السلطنة وهو وسام السلطان قابوس للثقافة والعلوم والفنون والآداب بالإضافة إلى منحه مبلغا ماليا قدره مائة ألف ريال عماني، أما في دورتها المحلية فيمنح الفائزون فيها وسام الاستحقاق للثقافة والعلوم والفنون والآداب ومبلغا ماليا وقدره خمسون ألف ريال عماني. وهذ جائزة تعكس التوجه السامي لدى جلالة السلطان وإيمانه العميق بأهمية الثقافة والتكريم المبدعين في ميادينها المختلفة. كما تعد الجائزة من جهة أخرى إحدى المآثر الحضارية العمانية التي تضاف إلى سجل إنجازات النهضة المباركة في مختلف الميادين.

حول الجائزة ومجالاتها وآلياتها وأهميتها وخططها المستقبلية كان هذا الحوار مع الدكتورة عائشة الغابشية مديرة مكتب الجائزة.

وددنا لو تقدمين للقارئ نبذة تعريفية عن الجائزة وفروعها؟

هي جائزة سنوية يمنحها جلالة السلطان قابوس بن سعيد ـ حفظه الله ـ معنية بالشأن الثقافي والفني والأدبي، ويتم فيها تحديد فائز واحد لكل مجال بواقع ثلاثة فائزين في ثلاثة مجالات، تحدد كل عام لكل فرع من فروعها الثلاثة، ليتنافس فيها العرب عموماً في عام وتكون حينها تقديرية ينظر فيها إلى سيرهم الذاتية في المجال المترشح فيه ومجمل أعمالهم وإنتاجاتهم، وفي عام آخر تخصص للعمانيين فقط يتنافسون فيها من خلال تقديمهم عملا واحدا.

ويدير شؤون الجائزة ويحدد سياساتها العليا مجلس أمناء خاص بها يرأسه وزير ديوان البلاط السلطاني معالي السيد خالد بن هلال البوسعيدي، ومعالي الدكتور عبدالمنعم الحسني وزير الإعلام نائباً للرئيس، وسعادة حبيب بن محمد الريامي أمين عام مركز السلطان قابوس العالي للثقافة والعلوم أميناً لسر المجلس، بالإضافة إلى عضوية كل من الدكتور عبدالسلام المسدي من الجمهورية التونسية والأديب يوسف القعيد من جمهورية مصر العربية ومن السلطنة الدكتور محمد بن علي البلوشي والدكتور ناصر بن حمد الطائي.

وماذا عن مكتب الجائزة الذي تتولين إدارته؟

للجائزة مكتب خاص بها تحت إدارة وإشراف مركز السلطان قابوس العالي للثقافة والعلوم، المنضوي ضمن مظلة وحدات ديوان البلاط السلطاني. ويناط بمكتب الجائزة تنفيذ ما يخلص إليه ويقرره مجلس أمنائها، كما يشرف على عملية تسجيل المترشحين والقيام بالإجراءات الإدارية والمالية بكل ما يتعلق بالجائزة منذ لحظة تحديد المجالات الجديدة التي تكون في حفل تسليم الجائزة في نهاية ديسمبر من كل عام مروراً بعمليات الفرز والتحكيم وإعلان النتائج التي عادة ما تكون في منتصف فبراير. كما أن للجائزة نشاطات ثقافية وفنية وأدبية ومشاركات على المستوى المحلي والعربي.

لنمض نحو معنى جائزة ثقافية، فكثير من الكتّاب والمثقفين والفنانين لهم نظراتهم المتباينة نحو جوائز من هذا النوع، فمنهم من يراها تكريما لمنجزهم الإبداعي واستحقاقا، وهناك من يسعى لها كهدف وحقل صيد معنوي ومادي، ومنهم من يعدّها قيدا يتم من خلالها ممارسة نوع من الوصاية الأبوية الثقافية عبر وضع الفائز في إطار الشروط غير المعلنة لجعلة في الحالة المثالية ومنهم من لا يهتم أساس بها. فما رأيك؟

الجوائز بشكل عام وجائزة السلطان قابوس للثقافة والفنون والآداب خاصة لا يقتصر دورها على تكريم المبدع العربي والعماني فقط، رغم أن هذا هو أحد الأسس التي وضعت من أجلها الجائزة والجوائز الأخرى ولكن للجوائز دور تقييمي أيضا، خصوصاً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار سيرة الجائزة التي نتحدث عنها وطبيعة عملها وكيفية اختيار الفائزين بها.

وسأتحدث هنا عن جائزة السلطان قابوس للثقافة والفنون والآداب بعيداً عن الجوائز الأخرى فجائزة السلطان قابوس قائمة على الترشح الذاتي للمشتغل في المجالات المطروحة في كل عام، ولا نقوم بترشيح أشخاص من قبلنا ولا توجد جهة تقوم بتسمية أسماء أو جهات لترشيحها وعرضها على لجان الفرز والتحكيم، بل لكل فرد أو مؤسسة الحق في الترشح ما دامت الشروط منطبقة عليه، ومن خلال ذلك نسعى للخروج بأفضل المترشحين عبر مرورهم بنشاط تحكيمي من مرحلتين. فمن الطبيعي أن يرى كل من يعتقد من نفسه مؤهلاً لنيل الجائزة التقدم لها كمترشح سواء أكان شخصا يسعى لنيل شرفها كقيمة معنوية تضيف إلى سيرته الذاتية أو كصائد جوائز كما يقال. أما بالنسبة لمن لا يكترث لها فهذا حقه ولا يمكننا إجباره على الترشح أو حتى ترشيحه من قبلنا، وكل من أشرت لهم ستجد أن الشروط العامة للترشح أخذتهم بعين الاعتبار عند وضعها.

لا ترى الجائزة في المترشح إلا عمله ولا توجد هناك شروط غير معلنة

نسعى إلى الخروج بأفضل المترشحين عبر مرورهم بنشاط تحكيمي من مرحلتين

وحول ما أشرت له عن الوصاية الثقافية التي يشعر بها الحائز على جائزة ثقافية ما، فهذا الأمر لا يحدث في جائزة السلطان قابوس، فأنا أعلم أن هناك جوائز في الوطن العربي سُحبت من بعض الحائزين عليها نتيجة آرائهم أو نشاطاتهم الإبداعية من بعد نيلهم للجائزة أو قبلها حتى، ومنهم من اعتذر عن جائزة ما حازها إما لأسباب سياسية أو شخصية مثلما حدث في كثير من الجوائز كجائزة نوبل للآداب مثلاً والجدل القائم بشأنها. وحقيقة أن جائزة السلطان قابوس لا ترى في المترشح إلا عمله كقيمة مضافة للمنجز الإنساني والتراكم المعرفي وتحقق الإضافة الفنية الإبداعية، ولا تقوم بتوجيه الفائز أو حتى ممارسة أي شكل من أشكال الوصاية والضغط، ولا توجد هناك ما أسميته بالشروط غير المعلنة لدينا، وينسحب هذا الأمر على لجان الفرز والتحكيم، ونفتخر بشهادات أعضائها منذ انطلاق الجائزة.

هل للجائزة مرجعية ثقافية تبني من خلالها قانونها المكتوب أو حتى العرفي؟

لجائزة السلطان قابوس للثقافة والفنون والآداب مرجعية واحدة وهي الإنسانية. في البدء دعني أقول لك إنك ستجد من بين الفائزين بالجائزة وخصوصاً عندما تتأمل أعمالهم ما يجعلك تتساءل مستغرباً عن كيفية فوز هذا الاسم أو ذلك العمل لأسباب تتعلق بآرائه المطروحة سواء من خلال أعماله ومنجزه الإبداعي أو الفكري أو من خلال نشاطه الإنساني وحياته الشخصية العامة، التي قد يعتقد البعض أنها لا تتماشى مع مرجعية بعض الشرائح المشكلة للوعي الجمعي في المجتمع العماني والعربي، خصوصاً إذا وقعنا في خطأ تقسيم هذه الشرائح الاجتماعية عمودياً، فالإنسان وتعايشه المشترك وإبداعه في اعتقادي عليه أن ينظر له من زاوية أفقية يمزج تنوعه واختلافه حتى يفهم، وأن يكن عمله سواء أكان الثقافي أو الفني أو الأدبي لا ينظر له بشخصنة بل بماهية عمله وأهميته المضيفة إلى الواقع الإنساني والتي تجعله متميزاً.

انطلق جدلٌ بين أوساط مجموعة من المثقفين العمانيين إبان إعلان نتائج الدورة الخامسة للجائزة والمخصصة للعمانيين في العام الفائت وتحديداً في مجال الترجمة والتي ذهبت لحمد الغيثي عن عمل «أشكال لا نهائية غاية في الجمال» الذي قام بترجمته بالاشتراك مع عبدالله المعمري، على الرغم من أن التكهنات كانت تشير إلى أسماء بارزة في هذا المجال في الساحة العمانية، فهل لكَ أن توضحي للقراء ما الذي حدث؟

نعم ونحن مطلعون على هذا الجدل الذي استطيع أن أصفه بأنه حميد ولم يخرج عن إطار التساؤلات والاستفهامات، فالجدل بلا شك حالة صحية تشكل الوعي العام للناس بطريقة أو بأخرى، والذي حدث ببساطة أن لجنة التحكيم قررت أن يكون العمل المتقدم من قبل حمد الغيثي هو العمل الفائز بحكم ترجمته التي لفتت انتباه لجنة التحكيم ولثراء العمل ونوعيته وفرادته وقيمته المضيفة

للمكتبة العمانية والعربية. أما فيما يتعلق بعبدالله المعمري فقد تقدم بعمل آخر في ذات المجال، وقواعد الجائزة تجيز التقدم بعمل مشترك إلا أنها لا تجيز مناصفتها بل تذهب لشخص أو جهة واحدة في كل مجال، ونحن نستفيد في الحقيقة من الملاحظات التي أثارها والذي سأسميه نقاشاً أكثر من كونه جدلاً، وربما كون الغيثي مستجدا في مجال الترجمة هو أحد أسباب وجود حالة النقاش العام التي تمنيت لها أن تكون مشجعة له من أصحاب ذات الوسط كونه أثبت نفسه كاسم مهم في هذا المجال.

ماذا عن الجائزة في دورتها السادسة المخصصة للعرب في هذا العام، وكيف تم اختيار هذه المجالات تحديداً للتنافس فيها الدراسات الاقتصادية والتصميم المعماري والنقد الأدبي؟

خصصت مجالات الدراسات الاقتصادية والتصميم المعماري والنقد الأدبي للتنافس في هذه الدورة بعد أن تم دراسة الوضع العام الثقافي والفني والأدبي في الوطن العربي، إذ تم أخذ مشورة عدد من المتابعين لتلك الأوساط، فكما هو غير خاف تأتي الدراسات الاقتصادية نتيجة لانعكاسات الوضع الراهن في المنطقة، أما التصميم المعماري فهو فن مهم جداً لم يتم التركيز عليه من الجهات التقييمية والتكريمية في العالم العربي، وفيما يخص النقد الأدبي فحدث ولا حرج. فالنقد الأدبي مجال واسع وتخصص أكاديمي كبير وله أقلامه وأعلامه، فمن الطبيعي أن تلتفت إليه الجائزة كمجال للطرح. لذا أعلنت هذه المجالات في شهر ديسمبر ليفتح باب الترشح منذ بداية مارس، ويحق لكل عربي في أي مكان التقدم والتسجيل عبر الموقع الإلكتروني للجائزة (www.sqa.gov.om) ما دامت تنطبق عليه شروط الترشح المعلنة ونقوم حالياً بالإعلان عبر مختلف الوسائل المتاحة لدعوة ذوي الشأن للتسجيل، فما ذكرت لك سابقاً لا نقوم بترشيح أسماء من قبلنا، ولا توجد جهة تقوم بهذا الدور، وكل الذي نقوم به هو اقتراح أسماء لجان الفرز والتحكيم على مجلس أمناء الجائزة الذي بدوره يقر أعضاءها بعد التشاور فيما بينهم لتباشر اللجان أعمالها مباشرة بعد غلق باب الترشح في منتصف يوليو وتعلن عن نتائجها في منتصف فبراير ويقام حفل تسليم الجائزة في نهاية ديسمبر، يتم فيه إعلان مجالات الدورة القادمة التي يحددها كذلك مجلس الأمناء بعد أخذ مشورة ذوي الاختصاص والتباحث في هذا الشأن بما يتناسب وأهداف الجائزة.

هل توجد نية لدى القائمين على الجائزة ممثلا بمجلس أمنائها لإضافة الجديد عليها؟

نعم هناك قرارات وتوجيهات وتوصيات أقرها مجلس الأمناء يقوم المكتب بتنفيذها تتمثل عبر مشاركات داخلية وخارجية في مناشط ثقافية وفنية تستهدف التعريف بالجائزة والفائزين بها. كما قام المكتب بطباعة الأعمال الفائزة ونعمل على نشرها وتوزيعها في الفعاليات والمعارض داخل السلطنة وخارجها، بالإضافة إلى العمل على فكرة ما بعد الفوز بالجائزة عبر إشراك الفائز في برامج تتعلق بمجاله والعمل على تمثيله للجائزة في تلك المناشط. هذا فيما يتعلق بشق المكتب، أما عن الجائزة ككل وحول سياساتها فمجلس أمنائها يقوم بمناقشة شروط وقواعد الترشح وكل ما يتعلق بها باستمرار مستأنساً برأي ذوي الخبرة من أعضائه ومن خارجه أيضاً، فالجائزة تحظى باهتمام المقام السامي - حفظه الله - منذ انطلاقتها، ويسعى القائمون عليها دائماً إلى تطويرها وتجديدها، ففي النهاية تسعى الجائزة إلى تحقيق الأهداف التي وضعها لها جلالته شخصياً.

سأظل أحلم بيوم..

نبيل سليمان

> سأظل أحلم بيوم يكون فيه الطغيان والطغاة من الماضي المنبتّ، أي غير الفاعل في حاضر ولا في مستقبل

هل كان الشاعر اليوناني أرخيلوخوس، حقاً، هو أول من استخدم كلمة (طاغية) عندما أطلقها على ملك ليديا، جيجز؟ هل كلمة الطاغية كلمة ليدية؟

ولكن لماذا أذهب بعيداً، ولا أسرع إلى (لسان العرب) وإلى ما نقل منه وأضاف إليه بطرس البستاني في دائرة معارفه، ومنه أن الطاغية هو الجبار والأحمق والمتكبر والصاعقة، أي من تولى حكماً فاستبد وطغى وتجاوز حدود الاستقامة والعدل، تنفيذاً لمآربه فيمن تناوله حكمه، أو بلغت سلطته إليه.

بحسب البستاني، يقال طغى فلان، أي أسرف في المعاصي والظلم. وهو يذهب إلى أن الفرس كانوا يسمون بلاد القبائل التركية القديمة، وهي تركستان الحالية: توران، وقد تحوّر الاسم عند اليونان فغدا: تيران، ومعناه طاغية. وجواباً عن السؤال عما إذا كان يجوز قتل الطاغية، يذهب البستاني إلى أن العلماء رأوا «في كل عهد وآن أنّ للأمم أن تلجأ إلى ما تيسر لها من الوسائل تخلصاً من الطغاة، وسوغوا لها الفتك بهم، وأتاحوا لها قتلهم، ولم يعتبروا من قتل طاغية مجرماً، بل أوجبت له بعض القوانين المكافأة».

ربما كانت ذروة ما بلغه الطغيان في تاريخ البشرية هو: التألّه، وذروة ما بلغه أمر البشر مع الطغيان هو: التأليه. والأمران يشتبكان في الحضارات القديمة أيما اشتباك، من الطاغية الفرعوني الذي لم يكن ملكاً وحسب، بل إلهاً أيضاً أو أولاً، طوال حياته وبعد مماته، إلى الطاغية البابلي: نائب الآلهة ومندوبها الذي يحل محلها، إلى الطاغية الفارسي الذي تتعفّر الجباه سجوداً له، إلى الإسكندر الذي تألّه في شرقنا، وتفرد من بين طغاة اليونان بالسجود له، إلى نيرون وكاليجولا والحاكم بأمر الله وأصنائهم ممن أمروا بأن يُعبدوا في حياتهم. أما في زماننا السعيد، وبخاصة منه زماننا العربي الإسلامي، فقد تعصرن التألّه والتأليه، وندر أن كانا جهيرين أو صريحين، ولكن دون أن يكونا أقل فجوراً.

لقد أبدعت الروايات العربية للطاغية ألقابه وسماءه غير الحسنى، ومن ذلك ما جاء في رواية (العصفورية) للسعودي غازي القصيبي: رجل الساعة، رجل القدر، مسك الغزال، نزيف الحجر، وفي رواية (فتنة الرؤوس والنسوان) للمغربي سالم حميش: الرئيس المهيمن الوهاب، وفي رواية (المخطوطة الشرقية) للجزائري واسيني الأعرج: سيد المقام الفاضل وذو القرنين والبغل القبرصي، وفي رواية (الأسلاف) للعراقي فاضل العزاوي: جنرال القمر واللاموت.

أما في سوريا فمن فيض الأسماء والألقاب ما جاء في رواية حيدر حيدر (وليمة لأعشاب البحر): اللوياثان والقنطور والطوطم الجديد، وفي رواية نهاد سيريس (الصمت والصخب): بوصلة الإنسانية، وفي رواية خيري الذهبي (فخ الأسماء): سليمان الزمان وقطب الأرض، وفي رواية (دلعون) لكاتب هذه السطور: شليطا، وهي كلمة سريانية تعني الأحمق. أما الإبداع الأكبر فلعله ما متحته من موسوعة العامية السورية لياسين عبد الرحيم، ورشقت به الطاغية، فإذا هو: الطرماذ (أي الصلف المفاخر النفّاخ) وفقفاق (أحمق) وشرعوب أو شرقوط (يغضب بسرعة) وشقدوف (دنيء وحقير) وعنقس (داهية خبيث) وعنقاش: (وغد لئيم). وعنطوان (فحّاش بذيء) وطهماز (كثير التعدي)...

من أسف أن الطغيان كان ولم يزل، وسيبقى إلى أن أعبس وأتولّى، هو الهواء الذي تنفسته وأتنفسه وسأتنفّسه، شأن أي منكم ومنكنّ، في البيت والمدرسة والوظيفة والحزب والتجارة والحب - أجل، الحب - والكتابة والقراءة والفنون والعقائد والمظاهرة والسجن و.. وسائر أجناب الحياة، كما في التاريخ، وكما في المستقبل المنظور، كيلا أقول: المستقبل بإطلاق.

ولأن الطغيان هو كذلك، فقد كان دافعي العمومي والشخصي إلى الكتابة.

لقد بلغنا من الطغيان أرذله. ولئن كان ذلك قد أخذ يورثني من اليأس قدراً، على النقيض مما عُرفت به طوال حياتي، فإنني سأظل أحلم بيوم يكون فيه الطغيان والطغاة من الماضي المنبتّ، أي غير الفاعل في حاضر ولا في مستقبل.